ـــــــــي حوار صحفي:

ـــــاهير الوطن اليمني الواحد

خروج آخر جندي بريطاني من خور مكسر مع آخر جندي مصري من الحديدة.. هل كان صدفة أم ضرورة؟

هناك أشخاص يدَّعون الثورية بينما كانوا مخبرين لبريطانيا

عشية الاستقلال تنازعت قوى إقليمية ودولية على تحديد هوية النظام

الوحدة اليمنية، ولذلك إذا نظرنا إلى بعض التدخلات التي لمسنا بعضها فهناك أيضاً تدخلات حصلت من ناحية حركة القوميين العرب، وكانت بعض التيارات التي وضعت أو رفعت بعض الشعارات، كان ذلك تحت تأثير حركة القوميين العرب بشقيها اليساري القومي واليساري الأممي، وكان لها تأثيرها على فكر الرجال عشية الاستقلال، وكان تأثيرها أيضاً على خطاب الأخ قحطان الشعبي – أول رئيس للجمهورية – وليس هذا فحسب، بل كان لها تأثيرها أيضاً على المراسيم التي تم إعدادها للاحتفال في مدينة الشعب، ولذلك ظهرت منافسة وظهرت عملية تسابق إلى الصف الأمامي وإلى ماهو أضيق من الصف الأمامي وهو قمة الهرم القيادي، وهذه الأمور كلها ضمن ما لاحظناه نحن لاحقاً، ونشير هنا إلى أن الاتحاد السوفيتي كان إلى حد كبير غير مهتم كثيراً بالحدود الرسمية للدولة، بقدر ما كان يهتم بما يجري في جانبه الحزبي، وكان ثمة أشخاص قد أوفدوا بشكل باحثين وبشكل صحفيين إلى عدن، وبعضهم ذهب إلى حضرموت، وهذا ليس بالضرورة أنه كان عشية الاستقلال ولكن بعد الاستقلال مباشرة.

■ *السؤال الأهم يا أستاذ عبدالقادر.. لماذا لم تتم الوحدة حينها؟*

– هذا بالفعل هو السؤال الأهم، ونحن أيضاً في ذلك الوقت سألنا نفس هذا السؤال، ولكن ظل الجواب حتى هذه اللحظة غامضاً، كان ثمة من يهرب ويقول الوحدة هدف ذو رصيد تكتيكي، لم يكن هناك تصور متكامل لدى أحد ما من تيارات الجبهة القومية أو حتى من تيارات جبهة التحرير أو حتى من تيار التنظيم التيار الاشتراكي الماركسي في اليمن ليقول لنا كيف يمكن أن يتم إعادة تحقيق الوحدة اليمنية، وماهي الكيفية التي ستقام بها الوحدة، وإن كنت قد قلت في فترة من الفترات: إن شخصاً وطنياً معروفاً وهو الأستاذ عبدالله باذيب قد كتب مقالاً يوحي إلى حد كبير أن لديه مشروعاً واضحاً للوحدة، وهذه ليست إشاعة، فمقالاته موجودة وشاهدة على العصر في حقيقة الأمر، أما غير ذلك فإننا لم نلحظ شيئاً، بعد ذلك انغمس الناس في السلطة، وجاءت السلطة وفريق السلطة، وتشكلت حكومة وأصبحت القيادة العامة للجبهة القومية هي مصدر التشريع، أي أصبحت البرلمان، والحكومة المشكلة كانت حكومة شبابية معظم أعضائها كان عمرهم في العشرينيات، ربما أن بعضهم كان يلبس «الكرفتة» لأول مرة بعد ما فرضت أيضاً البدلة والكرفتة في أجواء ذلك الوقت لتكون هي اللباس الرسمي، ثم بعد ذلك تم التخلي عنها تماشياً مع الملامح الصينية.

تفكير جبهوي

■ *الشيخ عبدالله الأحمر في مذكراته الصادرة مؤخراً قال: إن حركة عبدالرقيب عبدالوهاب في صنعاء كانت بتنسيق مع اليسار في عدن بغرض إقامة الوحدة وفقاً للنهج اليساري..؟*

– أنا لم اقرأ كثيراً بهذا الخصوص، وربما لم أفكر كثيراً بهذا الموضوع، وبإمكانية أن تكون هناك حركة بعد الاستقلال تهدف إلى توحيد اليمن تحت لواء الماركسية، وربما الشيخ عبدالله يكون عنده تصور أو تخمين في هذا الاتجاه، لكن لننظر إلى الحقائق الملموسة، والحقائق الملموسة تقول إنه عندما عقد بعد بضعة أشهر من الاستقلال مؤتمر الجبهة القومية الذي اطلق عليه مؤتمر زنجبار أو المؤتمر الرابع، طرحت أوراق وظهر تياران، والتياران يتحدثان كلاهما عن تطبيق برامج ورؤى وأهداف مرتبطة بالشطر الجنوبي، أي استمرار إقامة الدولة في الجنوب بعد أن جاء الطاقم الحاكم واستبدل أو احتل الوزارات التي كانت تابعة لحكومة عدن أو للسلطنات وأصبح سلطة حاكمة، وهذه السلطة رغم ضآلتها ورغم إمكاناتها المحدودة وأنا شخصياً وأنا أحاضر في جامعة عدن حصرت أن الميزانية كانت عشية الاستقلال لاتزيد عن ١٢,٥ مليون جنيه استرليني، وهذا الشيء لم يكن شيئاً مغرياً حتى يتمسك هؤلاء الناس بدولة، لكن كلمة سلطة هي بحد ذاتها كلمة مغرية وأمارة بالسوء، وجاء بعد ذلك الحديث عن الوحدة في غلاف آخر، بحيث ترك الناس التفكير الجبهوي إلى الحديث عن تفكير سلطوي وبالتالي دخلت مسألة أنهم تحت ضغط الجماهير وأن المسألة لايجب أن تنتهي بإقامة نظامين في الشمال والجنوب، ولذلك ظلت الجماهير تموج وما دام الأمر كذلك، فالسؤال الكبير المطروح.. كان ماذا عن الوحدة؟.. وهنا لو تلاحظ صدرت وثيقة اسمها وثيقة استقطاب حركة التحرر الوطني في عام ١٩٦٨م قبل ما سمي بالحركة التصحيحية التي أزاحت قحطان وأدخلته السجن، وقامت بتصفيات جسدية معينة بما فيها فيصل عبداللطيف، وجاء اليسار إلى السلطة في ١٩٦٩م ، وهذه الوثيقة تتحدث عن برنامج للشطر الجنوبي ليس لمفهوم الوحدة فيه نصيب.

حرق الأوراق

■ *من صاغ هذه الوثيقة؟ ولماذا؟*

– أنا لن اتحدث عمن – رحمهم الله – ولكن سأقول: إن هذه الوثيقة ، رغم أنها صغيرة وليست كبيرة، لكن فيها نفساً إلى حد كبير لمجموعة الجبهة الديمقراطية بدون ذكر الاسماء وحزب العمل الشيوعي اللبناني، وإن كان فيها قدر ضئيل من التنظير وقدر أقل من التدبير بحيث كانت عبارة عن ورقة أريد بها حرق الأوراق التي قدمها ما كان يسمى باليمين في مؤتمر زنجبار، ومهدت لحركة ٢٢ يونيو، لذلك يمكن القول إن سلطة الاستقلال لم تقدم نفسها لجماهير الوطن اليمني الواحد على نحو واضح ومحدد بحيث تصبح قبلة للناس يستطيعون النظر إليها على أنها أملهم المنشود على مستوى الوطن اليمني ككل، وكان هناك من ينظر إلى المسألة على أنها مرحلة سيتم العبور عليها إلى عالم الوحدة ، ومنهم من يرى أنه لابد من إقامة النموذج لحركة القوميين العرب في مواجهة النموذج البعثي وتجليات هاتين المسألتين كانت واضحة في ٥ نوفمبر ، ولم يتغير الأمر في قضية مفهوم الوحدة بحيث ظل هذا الأمر منبعه الأساسي هو فكر يكاد يكون غير متصاعد، لكنه مجتهد في طريقة الوصول إلى الهدف، هنا تم طرح السؤال وهو كيفية الوصول إلى هذا الهدف.

وعندما قامت في نوفمبر ١٩٦٩م عمليات التأميم، وعمليات التطهير الواسع. وعمليات الاستيلاء على الأراضي بواسطة الانتفاضات ، بجانب شيء آخر عرف بعملية الدمج بين الطريقة الكوبية والطريقة الصينية في التطبيق على مستوى واقع الحياة، بحيث كانت الطرق الأخرى كالطريقة الفيتنامية قد انتهى التعامل معها، أو أنها لم تنته بعد في نضجها على مستوى الواقع، لأنَ لها نهجاً خاصاً، فالطريقة الفيتنامية منذ البداية دمجت التحرير مع التوحيد، لم يكن شعار »الفيتكونغ« الذين قاتلوا الأمريكان على طول الساحل الجنوبي الفيتنامي أن يقيموا دولة بل كانوا يؤمنون أن وطنهم واحد وأنهم يمضون سوياً على طريق التحرير والتوحيد بحيث كانوا أكثر بلاغة منا في التنظير والفعل، وربما العقل الآسيوي والآسيويون بصورة عامة لديهم روح الانضباط، ولديهم قداسة للثورة واندماجها مع المقدسات الدينية إلى درجة أن الذين قاتلوا مع «الفيتكونغ» هم البوذيون الذين خرجوا من معابدهم وقاتلوا، كما أن الجنرال جياب لم يكن بطلاً قومياً في حرب فيتنام بل كان قومياً قبلها في بيارد دي رثاو، حينما واجه المستعمرين في هذه القلعة الضخمة وهزمهم، لذلك كان لكل الوطن.

سمن الاشتراكيين

■ *لكن معظم قيادات الجبهة القومية كانوا من اليسار ورفعوا شعار الوحدة على طريقتهم؟*

– منابر الماركسية يمكن أن تحلل وتصنف بأن هؤلاء لا ينتمون انتماءً حقيقيا، حتى المساعدات التنموية التي بدأ التفكير في إدخالها في برامج المساعدات الخارجية لدول روسيا وأوروبا الشرقية جاءت متأخرة، وليس غريباً أن إحدى هذه الدول أرسلت إلى عدن باخرة صغيرة فيها سمن كهدية، وهذا السمن كان في أجواء باردة جداً «مثلجاً» ولكنه كان في براميل غير أنه عندما وصل إلى عدن كانت البراميل فارغة، لأن السمن كان قد ذاب، وهذا دليل على أنهم ربما لم يكونوا يعرفون أين تقع عدن.. ولهذا أقول إن الذين فهموا أكثرهم الذين جنبوا المفاهيم الايديولوجية، وانتبهوا أو استندوا إلى مفاهيم حركة التحرر الوطني كانوا الصينيين، سواء أكان في الشمال أو الجنوب، فالصين مدت يدها أكثر وأكثر لليمن شمالاً وجنوباً، وكانت المعونات الصينية لاتأتي بثوب أحمر، وإنما كانت تأتي بشكل إنساني، ولم يفرض الصين نفسه أيديولوجياً على اليمن، لذلك أقول إن تمكن الأيديولوجيا من صنع كل حركة العلاقات بين مركزها في موسكو أو محيطاتها المختلفة في بقية أنحاء العالم

حركة التصحيح ركَّزت على برنامج شطري وليس للوحدة نصيب في أدبياتها

تمت بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت العلاقات علاقات حرب باردة وعلى وجه الخصوص يمكن بدأت بدرجة أساسية في وقت متأخر بعد الحرب العالمية الثانية في بداية السبعينيات، وذلك لانشغال الاتحاد السوفيتي في بناء نفسه، وبناء البلدان الاشتراكية التي اجتيحت ودمرت في الحرب العالمية الثانية، وكانت المساعدة في بناء سد أسوان بداية الخروج من الحائط الحديدي، وهذا في تقديري الشخصي مهد للتفكير الجدي بمد العلاقات مع اليمن، بجانب ما كان من إصدارات في شمال الوطن تتحدث عن هزيمة الملكيين والصراعات التي تمت بين أجنحة الحركة البعثية والقومية.. وحصول الماركسيين على حضور مع القوميين في جنوب الوطن، كل هذا مهد كذلك للتفكير الجدي في موضوع الوحدة.. وقد طرحت قضية الوحدة بشكل واضح ابتداءً من منتصف ١٩٧١م بعد صدور الدستور الجديد لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

الانتفاضات

■ *كيف تقرأون علاقات سلطات النظام مع الكتلة الاشتراكية والتطبيقات للنهج الاشتراكي؟*

– نستطيع القول إن سلطات الاستقلال بحكومتها الجديدة في الشطر الجنوبي لم تستطع أن تمد جسور العلاقات مع بلدان الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية إلاّ في وقت متأخر بعد أن تبينت الملامح الرئيسية للنظام وبعد الاستقلال بحوالي أربع إلى خمس سنوات بدءاً من ١٩٧١م، فعلى سبيل المثال وفي كتاب كارل بروتنس الذي كان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وجاء بشكل صحفي في ذلك الوقت في السنة التي بدأت فيها الانتفاضات الفلاحية، وكان كارل يبحث عن ملامح لهذا النظام حتى أنه قد سمى في كتابه أضعف الأسماء وقال إن هناك اتجاهات ماوية وذلك عندما رأى حركة الاستيلاء على الأراضي وماصاحبها من عنف في حين أن عمليات الاستيلاء هذه اعترض عليها عبدالله باذيب وقال إن الاستيلاء أولاً غير مناسب لليمن، وثانياً أنه لايوجد إقطاع في اليمن، كما هو الحال في أوروبا، إضافة إلى أن الإسلام يمنع وجود الاقطاع لأنه يفتت الملكية عن طريق الإرث.. نقول إن كارل بروتنس ألف كتابه حول الهويات التقدمية والاشتراكية لدى حركات التحرر الوطني وحكوماتها ومن بينها الجبهة القومية وحكومة ما بعد الاستقلال في الشطر الجنوبي، ولما اطمأنوا إلى أن التيار الماركسي غير الماوي بدأ يأخذ مكانه أكثر في السلطة، بدأوا بإقامة العلاقات، في هذه الأثناء وبعد إعلان جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، تخلت، وهذه ميزة، بل محسوبة حسبة فكرية وطنية صحيحة ١٠٠٪، بمعنى أننا لسنا جمهورية اليمن الجنوبية، بل نحن نُمثل اليمن الديمقراطية، يعني نبحث عن يمن ديمقراطي موحد، هكذا فسرت الأمور وبقوة واضحة بتغيير الدستور بحيث اعتبرت الوحدة اليمنية هدفاً نهائياً ورئيسياً ولكن كيف؟ في الوثائق التي سبقت المؤتمر العام الخامس للتنظيم السياسي للجبهة القومية ظهرت ملامح حول هذا الأمر.

في المؤتمر العام الخامس ١٩٧٢م جاءت وثائق المؤتمر إلينا ونحن في القاهرة، وقد قيل إن جوهر الخلاف هما شيئان أولهما حول المسائل الداخلية المتعلقة بالإصلاح الزراعي والانتفاضات والتأميمات، وجملة الحركة التي قطعت الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الشطر الجنوبي، كما قطعت الحياة الثقافية وهذه هي الاشكالية القائمة في الداخل الملامس لقضايا الناس وهمومهم حيث أصبحت عدن مدينة شبه خالية من السكان، بحيث هرب جزء كبير من الناس، وأغلقت المحلات، كما أغلق ميناء عدن بسبب إغلاق قناة السويس، الشركات ضربت بالتأميم، والبنوك كذلك جمدت باستثناء بنك واحد هو البنك الأهلي، إضافة إلى العملة التي تأثرت هي الأخرى، وبدأ الانتماء إلى عملة شرق أفريقيا المرتبطة بالاسترليني.. في تلك الأيام كان الناس في حالة ذهول، وتلك الأحداث كلها لها جذور ظهرت الآن بحيث ظهر من يقول هل وجدت فقيراً دون أن يلتفت إلى أنه كان لديه منزل تعرض لتأميم وهكذا.. وبالنسبة للمدارس كان هناك تنوع في عدن، مدرسة البيحاني، مدرسة بازرعة، مدرسة البادري، مدرسة الفلاح.. انحصرت كلها في مدرسة حكومية ثم لاحقاً بمدرسة حزبية، كما بدأت أيضاً تختفي من الأسواق والمكتبات كل روافد التفكير القومي والتفكير الحر والجديد، وبدأ طابور طويل من المزايدين، وطابور طويل من أصحاب الشعارات، وأصحاب الاهازيج، وأصحاب الزوامل، وهم الذين سيطروا بعد ذلك على الحياة الثقافية.. هنا بدأ التنظير حول قضية الوحدة باتجاه أنه من الممكن تحقيق الوحدة اليمنية إذا ما تمكنت فصائل العمل الوطني «اليسار» من التوحد فيما بينها، فإذا قامت وحدة الأداة، وكانوا يعتبرون أنفسهم أداة تحقيق الوحدة اليمنية وفقاً للمفهوم اللينيني المعروف، والذي يقول إن الطبقة العاملة لا يأتيها وعيها من داخلها ولكن يأتيها وعيها من خارجها، أي من الطليعة طليعة الطبقة العاملة، أي من النخبة المثقفة الماركسية، وبسبب هذه الفكرة غير الواقعية وغير المنسجمة مع الواقع اليمني بصفة خاصة، لم يحدث أثر يذكر يعني أنه ومن أجل أن تتحقق الوحدة يشترط أن تتوحد فصائل العمل الوطني يعني أن تتوحد الجبهة القومية واتحاد القوى الشعبية، حزب البعث الذي يتحول بعد ذلك إلى ماركسي، حزب الطليعة، والجبهة الوطنية الديمقراطية، الحزب الثوري الديمقراطي، حزب العمل، حزب العمال والفلاحين، وحزب المقاومين الثوريين، بمعنى إذا توحدت هذه الأحزاب شمالاً وجنوباً يمكن بعد ذلك تحقيق الوحدة اليمنية، أي أن الوحدة اليمنية تتحقق فيهم دون غيرهم، أما إمكانية أن تتحقق الوحدة اليمنية عن طريق اندماج نظامين بنظام واحد ثم تأخذ الديمقراطية مداها لمن يريد أن يحكم بالاقتراع السري والتداول السلمي للسلطة، هذا لم يتم التفكير فيه، وإن تم التفكير فيه تم تجاهله، وان تمت مواجهته بطريقة أو بأخرى قيل كيف يتوحد النظام المتقدم في الجنوب مع النظام الرجعي في الشمال، لابد من سيطرة قوى الثورة «ليسار» على السلطة، وبالتالي تتحقق الوحدة، ربما هذه الفكرة بدرجة أساسية موحى بها من قبل الألمان الشرقيين، وساندها بدرجة ما أو بأخرى بعض المفكرين الروس، وإن كان لأكثريتهم رؤية أخرى فيما يتعلق بالوحدة اليمنية، وهو أنه لا توجد فروقات على الاطلاق، والنظام السوفيتي لديه علاقات أصلاً قديمة في الشمال والجنوب، وأنه حريص على أن يقدم نفسه من خلال الوحدة اليمنية إلى بقية أجزاء الجزيرة العربية ليقول لهم: ها أنذا وهاهي الوحدة اليمنية أطرحها أمامكم، ولست على الإطلاق ضد توجهاتكم الوطنية، والاتحاد السوفيتي كان حريصاً ألا ينقسم اليمن قسمين ويحصل وحصل كثيراً في المؤتمرات حول قضية أفغانستان وغيرها من أوجه الخلاف التي كانت قائمة بين الشطرين بسبب الحرب الباردة، ولهذا أقول لم تنجح على الإطلاق الفكرة القائمة على تحقيق الوحدة اليمنية عن طريق فصائل العمل الوطني، وظلت فكرة قائمة إلى أن بدأت الأوضاع الواقعية الملموسة تهبط تدريجياً إلى الأرض وتأخذ مسعاها في الأرض بحيث صارت الفكرة يمنية، وصاحب ذلك الوضع انهيار في الكتلة الشرقية وإنتهاء الاتحاد السوفيتي، كل هذا أدى إلى عودة التاريخ إلى مجراه الطبيعي، بمعنى أن الشعب سيتوحد ويندمج النظامان بشرعية ديمقراطية وبشرعية وطنية كاملة غير مفروضة من أحد.